الخطاب السادس و العشرون

رثاء شهيد الأمة وأمير الاستشهاديين:

(أبي مصعب الزرقاوي رحمه الله)

4 جمادى الثاني 1427 هـ
30 يونيو/حزيران 2006 م

للشيخ أُسَامَةُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ لاَدِنْ (حفِظَهُ الله)

الحمد لله، ثم الحمد لله، الحمد لله القائل:
{وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} [آل عمران:169-170].

والصلاة والسلام على نبينا محمد، القائل:
(والذي نفس محمد بيده، لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل).

أما بعد؛

فلقد فُجعت أمتنا الإسلامية بفارسها المقدام، أسد الجهـاد، ورجل الحزم والسـداد؛ **أبي مصـعب الزرقـاوي أحمـد الخلايلة**، إثر مقتله بغارة أمريكية آثمة، فإنـا للـه وإنـا إليـه راجعـون، فنرجـوا اللـه أن يكرمـه بمـا تمنـى فيتقبلـه فـي الشهداء، ويجزل له المثوبة والعطاء، ويحسن لأهله و ذويـه العزاء.

أيها المسـلمون؛ إن المصـاب جلـل، والخطـب عظيـم، ونَحُثُكُم على الجميل؛ وهـو الصـبر، ونُرَغِبُكُـم فـي الجزيـل؛ وهو الأجر.

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر * فليس لعين لم يفض ماؤها عذرُ**
فتىً مات بين الضرب والطعن ميتة * تقوم مقام النصر إذ فاته النصرُ**

أمتنا الإسلامية الغالية؛ لإن أحزننـا فـراق الأحبـة، أبـي مصعب وصـحبه، فقـد سـرنا أن أنفسـهم سـالت فـي هـذه الملاحم العظـام وهـم يـذودون عـن شـريعة الإسـلام، ولأن أُصِبنا بِفارِسٍ من أعظم فُرسانِنا و أميرٍ مِـن خيـرَةِ أُمَرائِنـا، فقد سَرَناَ أننَا وجدنا فيه رمـزاً وقـدوةً خالـدةً لأجيـال أمتنـا الماجدة، وسَيذكُرُه المجاهدون ويـدعون لـه، ويثنـون عليـه شِعرًا ونثرًا، سِرًا وجهرًا، سَنُثني عليه بما عَلِمْنا.

فقد كان سَمِحَ المُخالطةِ ما لم يُظلَمِ * و إن آنس الناس فزعاً كرَّ غير مُذمَمِ**

مضى أبو مصـعبٍ رافـعَ الـرأسِ، عزيـزَ النفـسِ، حُـراً أبيـاً، كريماً وفياً، لم يعطي في دينه الدنية، ولم يَنَمْ عَلـى الضـيم أبداً، ولم يُـداهن فـي الحـقِ أحـداً، عزيـزاً علـى الكـافرين، رحيماً بالمؤمنين، مُحرضاً على القتال، و مجاهداً في سبيل الدين.

و مِن أقواله رَحمه الله: **(فلا خير في عيشٍ تُنتَهَكُ فيه أعراضنا، و تُداسُ فيه كرامة أخَواتِنا، ويحكُمُنا فيه عُبّادُ الصليب)**.

وقوله: **(نُقاتِلُ في العراق و عُيونُنَا على بيتِ المقدس، الذي لا يُستَردُّ إلا بقُرآنٍ يهدي و سِيفٍ يَنْصُر)**.

وكان رحمه الله مجَلَ محبة أصدقائه، وتقدير أعدائه، فالمنصفون منهم شهدوا له ومدحوه، ولا عجب.

مضى طاهر الأثواب لم تبقى روضة * غداة ثوى إلا اشتهت أنها قبرُ**
عليك سلام الله دوماً فإنني * رأيتُ الكريمَ الحُرَ ليس له عمرُ**

اقتدى أبو مصعب بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، واقتدى بمن مضى قبله بساداتنا؛ بمُصعبٍ وعمر وعلي وجعفر، رضي الله عنهم أجمعين، فخاض غِمار الحرب مُبتسماً، فرفع الله شأنه، وأعلى ذكره، وصار أُسوَةً لمن بعده.

حُب الجبان النفسَ أورده البقا * وحُب الشُجاع الحربَ أورده الحربَ**
وما الفرق ما بين الأنام وبينه * إذا حَذِرَ المحذور واستصعب الصعبَ**

مضى أبو مصعب عليه رحمة الله وقد فتح الله عليه؛ فأسَسَ قاعدة للدفاع عن الدين، ولاسترجاع فلسطين بإذن الله، وأخذ بثأرٍ للمستضعفين هناك، حيث أثخن في الأمريكيين حلفاءَ اليهود ودوَّخَهُم؛ فقتل رِجالهم، وصَدَّع بُنيانهم، واستنزف أموالهم، وشتت شملهم، وأذل كبريائهم، حتى تجرأ عليهم الداني والقاصي، والطائع والعاصي،

فدخل التاريخ من أوسع أبوابه فَشرَّفه، وأخذ بيد العالم إلى طريق العزة فعرّفه، بإصرارٍ وحزمٍ وإبـاء، فخُلِـدَت سـيرته مع سير أعلام النبلاء.

ولا تـبكين إلا ليـث غاب * شجاعاً في الحروب الثائرات**
دعوني في الحروب أمت عزيزاً * فموت العز خير من حياتي**

إن أبا مصعب علَّمَ البشرية دروساً عملية في كيفيـة انـتزاع الحريـــة، فالحريـــة لا تُـــوهب للخـــانعين تحـــت قبـــاب الديمقراطية، وعلَّمَ البشرية التمرد على الطغاة، في زمـن إستَبدَ فيه الطاغوت الأكبر فرعون العصـر، بـوش وصـحبه، وداسوا على جميع القيم والمواثيق، ولكم في غـزو العـراق وسجن غوانتنامو عِبرة، فأرهبوا النـاس، واسـتذلوهم بالنـار والحديد، وعاملوا الرؤساء معاملة العبيد.

لقـد جـاء فرعـون العصـر إلـى العـراق لا يبـالي برفـض ومظاهرات البشر، الذين قالوا له: (لا لسفك الـدم الأحمـر من أجل النفط الأسود)، ولكنه احتقر العـالم أجمـع، وتقـدَمَ إلى العراق مُستكبِراً، مُتَغطرِساً بجنده وعتاده، مُتَصوراً أن أسد الشرى قد مُسِخُوا، وأن رجال الإسلام قد خَنَسوا، بعـد أن قدَّمَ له حُكام العَرَب مِـن مُلـوكٍ ورؤسـاء آيـات الطاعـة والـولاء، والمذلـة والاسـتخذاء، وكـلٌ منهـم يُحسِـسُ علـى رأسه؛ متى يكون دوره لِيوضَع في رَمسِه.

هَجَمَ العدو علـى العِـراق فجعـل يعسـف بالنـاس عَسـفاً، و ينسِفُ القرى نسفاً، وأزيز الطائرات قـد ملأ الآفـاق، وصـمَّ الآذان، و إنفجارُ البارودِ قد نَشَـرَ الحُتـوف، وأزكَـمَ الأُنـوف، وكانت الجبالُ تهتزُ وتميد من شدة القصف، فبلغت القلوب الحنـاجر، ولاذ أولـو البـأس والنُهـى بـأحلاسِ بيـوتهم، ولـم يحرِّضـوا بِقـول، ولـم تحملَهـم أقـدامهم مـن شـدة الهـول، واشرأب الباطـل، ونَقَ ضَ المنـافقون العهـود، ووقفـوا فـي

خندق النصارى واليهود، وصار المسلمون كـالغنم الشـاتية، في ليلة مطيرة بأرض مسبَعَة.

وفي ظل تلك الأجواء الرهيبةِ الكئيبة، التي تَرى فيها أشـباه زعماء ولا زعماء، وأشباه علمـاء ولا علمـاء، وأشـباه رجـال ولا رجال، إلا من رحم الله، **في تلك الظروف العصـيبة المزلزلــة ظهــرَ فــارس الإســلام أبــو مصــعب الزرقاوي.**

كمَثَلِ الليث مُفتَرِشاً يديه * جريءُ الصَدرِ رئبالاً سِبَطر**

ظهر ومعه ثلة من المـؤمنين، **كانوا سـبعة عشـر رجلاً**، وليسوا سبعة عشر جيشاً، فتواثقوا وتعاهدوا، وعاهدوا اللـه تعـالى أن ينصـروا دينـه، أو يهلكـوا دونـه، رِجـالٌ و الرِجـالُ قليلُ.

والناس ألف منهم كواحدٍ * و واحدٍ كالألفِ إن أمر عَنا**

ومن سيقاتلون؛ مثلهم في العـدد أو مثليهـم؟! كلا، أو حـتى عشرة أمثالهم؟! كلا، إنها أمواجٌ كـأمواج البحـرِ مـن العتـادِ وجنود الشر، ولكـن مـن عَظُـمَ حـق اللـه فـي قلبـه و رُزِقَ التوحيـد تَميـدُ الجبـال الرواسـي ولا يميـد، فتَرَجَّـل فارِسُـنا حاملاً الراية، وعزَمَ على القتالِ إلى النهاية، فإما يـذوق مـا ذاقَ جعفرٌ أو يذوق النصر.

فأثبَتَ في مُستنقعِ الموتِ رِجلَهُ * وقال لها مِن تحتِ أخمصُكِ الحشرُ**

فخاضوا غمار الحرب، وبدءوا الضرب، وذلك بعددٍ يسير من الكلاشنات، وعددٍ يسير من ألغام الدبابات، وعددٍ يسير مـن مدافع البازوكا، وكان أبو مصعب قد جـاء مـع بعـض إخـوانه

في الفترة الماضية إلى الجهاد ضد الروس، فسابق إخـوانه حـتى سـبق المتقـدمين، ونطَـقَ فَـبزَّ النـاطقين، وبمجيئـه وإخـوانه إلـى أرض أفغانسـتان أخـذوا تطعيـم معركـة ضـد القــوى الكــبرى، وزالــت مــن أذهــانهم أســطورة الــدول العظمـى، ونقلـوا الجُـرأة الكـبيرة المتوثبـة، والمعنويـات الهائلة، من أفغانستان إلـى بغـداد، وأشـعلوا فتيـل الجهـاد، وتفجرت طاقات الشباب في كل مكان، من أعلـى الفـرات إلى أسفله، ولله الحمد والمنة.

هذا هو فارسنا الذي نتحدث عنه، قام بكل ذلك بعـد توفيـق اللـه لـه؛ بإمكانيـات ذاتيـة بسـيطة، ولـم يكـن وراءه حلـفٌ دولي، ولا تحالفٌ إقليمي، ولا تنظيـمٌ عـالمي، وذلـك فضـل الله يؤتيه من يشاء، والله واسعٌ عليم.

نَفسُ عِصامٍ سوّدت عِصاماً * وعلمته الكرَّ والإقدامَ**

نعم هذا هو فارس الإسلام الـذي نتحـدث عنـه، والـذي قـام في وجه فرعون العصر، في وجه الإمبريالية الأمريكية، بعـد أن فشلت المنظماتُ الدولية، والتجمعاتُ الإقليمية، بعد أن فشل العالم أجمع في إيقاف ذلك العدوان الغاشم الظَلوم.

ضروب لهام الضارب الهام في الوغى * خفيفٌ إذا ما أثقل الفرس اللبد**
بصير بأخذ الحَمدِ من كل موضعٍ * ولو خبأته بين أنيابها الأسدُ**

وهنا ندعو الله أن يجزي خير الجـزاء فارسـنا المقـدام، وأن يجزي خير الجزاء كل من عزّانا وواسانا في فارسنا العظيم رحمه الله، ونخص بالذِكر أمير المؤمنين الملا محمـد عمـر، فنرجـوا اللـه تعـالى أن ينصـره وإخـوانه المجاهـدين علـى الكافرين.

ثم إنني أقول لمن يتهم فارس أمتنا بأنه يقتل بعض فئات الشعب العراقي، أقول له؛ إذا جاءك من يدَعِي أن رجلاً فقأ عينه فتريث حتى ترى المُدَعَى عليه، فلعل المُدَعِي قد فقأ عينيه!

وهذا ما بدأ يزداد وضوحاً في الأسابيع الأخيرة، حيث تحدث النائب محمد الدائن عن حجم الظلم والتعذيب الذي يُمارس ضد المسلمين في السجون العراقية، كما تحدث كذلك من قبل قادة هيئة علماء المسلمين عن حرب إبادة يتعرض لها أبناء الإسلام في العراق.

وإن أبا مصعب، عليه رحمة الله، كانت لديه تعليمات واضحة؛ بأن يركز قتاله على الغزاة المحتلين وعلى رأسهم الأمريكيين، وأن يُحَيد كل من رَغِبَ في الحياد، **وأما من أبى إلا أن يقف يقاتل في خندق الصليبيين ضد المسلمين، فليقتله كائناً من كان، بغض النظر عن مذهبه وعشيرته،** فمناصرة الكفار على المسلمين ناقضٌ من نواقض الإسلام العشرة، كما هو مقررٌ عند أهل العلم.

ثم إني أقول لبوش؛ يجب عليكم تسليم جثمان البطل لأهله، ولا تُكثِروا الفرح، فالراية لم تسقط بحمد الله، وإنما انتقلت من أسدٍ إلى أسد مِن أسدِ الإسلام، وسنواصل بإذن الله قتالكم وحلفاءكم في كل مكان، في العراق وأفغانستان، والصومال والسودان، حتى نستنزف أموالكم، ونقتل رجالكم، وترجِعوا مهزومين بإذن الله إلى بلادكم، كما هزمناكم من قبل بفضل الله في الصومال.

كما أقول لوكيلك في الأردن؛ كفاك استبداداً، فقد منعت أبا مصعب الدخول إلى موطنه حياً، فلا تَحُل بينه وبين ذلك الآن، **وأولى الناس بالخروج من الأردن هو أنت؛ إلى الحجاز فتلك بلادك و بلاد آبائك قبل أن تُنَصِبَ بريطانيا جدك عبد الله الأول عميلاً لها على**

الأردن، وما يُخيفُكَ من الزرقاوي عليه رحمة اللـه بعـد أن فارق الحياة، إلا لأنك تعلـم أن جنـازته إن تُـرِكَ المسـلمون وشأنهم فيها فستكون بإذن الله جنازةً كـبيرة، تُظهِـر مـدى تعاطف المسلمين مع أبنائهم المجاهدين.

وفي الختام أقول؛ إن أبا مصعب عليه رحمة الله لا يشرف قبيلته ووطنه وأمتـه فحسـب؛ بـل يشـرف البشرية جمعاء.

فقد جسَّدَ لها معاني العزة والإباء، والتضـحية والفـداء، وإن سيرته مادةٌ قيِّمَة لنموذجٍ مُعاصر، فإن دَرَست الدُنيا سيرته العطـرة تعلَّـمَ أبناؤهـا كيـف يصـنَع الإيمـان بـالله الرجـال، ليقاوموا أهل الظلـم والضـلال، وحـريٌ بكـل مُربـي وكـاتبٍ وروائي أن يقتَبِسَ من سيرته ما يُحيي بـه الأجيـال الناشـئة والأجيال القادمة، كما أنه حَريٌ بكـل شـاعر حُـر أن يقـرُضَ الشِعرَ في هذا الصقر، ولو كنت من فرسان الشعر لأكثرت القوافي في رِثائه، ولنافست بذلك تماضر فـي رثـاء صـخر، ولكـن لا حـرجَ أن أسـتعير أبياتـاً مـن شِـعر شـاعِر الـدعوة الإسلامية المعاصرة؛ الشيخ يوسف أبو هلالة:

غص الثرى بدم الأضاحي وتلهَّبت سُوح الكفاح
ومن القِفار الجرد تبزغ نبعة الماء القُراح
تزهو بألوية العقيدة والبطولات الصِحاحِ
وتقول إن شحَّ العطاء فنحن للدين الأَضاحي
***
والفوز فوز الخاضبين جسومهم بدمِ الجِراح
الرافضين بأن تباع ديارهم بيعَ السماح
والعائفين العيش عيش المستذل المستباح
***
بضع من اللحظات يهزم روعها هوج الرياح
يهوي بها حمدان مثل الصقر مقصوصَ الجناح
من بعد ما اقتحم الردى والقصف قد غمر النواحي
***

فحنوت ألثم جرحه الرعاف فانتكأت جراحي
وهمت على خدي الدموع فقلت يا روحي وراحي
هلا رحمت قلوبنا وعدلت عن هذا الرواحي
***
فأجابني البطل المسجى هازئً بي باقتراحي
كفكف دموعك ليس في عبراتك الحرة ارتياحي
هذا سبيل إن صدقت محبته فاحمل سلاحي

رحم الله أبا مصعب، ورحم الله كل من حمل السلاح للجهاد في سبيل الله، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أُسَامَةُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ لاَدِنْ
أَفْغَانسْتَانَ – خُرَاسَانَ